مدخل إلى المنطق الطبيعي الحجاجي
الحجاج ضرورة إنسانية

*معتز حسن محمد أبو قاسم

الملخص

وضعنا الافتراض الذي مقتضاه " إن انزلاق الكثير من الباحثين في الدرس المنهجي عموما والدراسات الإنسانية خصوصا في التناقض والمصادرة وما شاكلها من مخالفات منهجية سواء كانت في الدليل أم الاستدلال أم الحجة مأتاه - غالبا - اعتقاد أن التعقل والتحقق باليقين (باعتبار اليقين معادل للحقيقة) مطابقٌ مطابقة تامة وملازمة ومساوية لنهج الاستدلال الرياضي والتجريبي فقط لا غير ، أي البرهان الصوري والمزاولة المخبرية ، بواسطة (الصورنة= هي عمليّة معرفية يتحول بمقتضاها النموذج إلى نسق مجرّد) و الاختزال= نهج لفهم الأشياء المُعقدة عن طريق اختزالها إلى تفاعلاتٍ من أجزائها ، أو إلى أشياء أكثر بساطةً) واستتبع ذلك أن ما كان خارج هذه الدائرة من الاستدلالات ليس شيئا له صلة بالعلم والحقيقة ، وأنه وإن كان ملازما لنا في حياتنا التي نعيش إلا إننا لا نملك نهجًا علميا في إثبات حقيقته أو ضرورته أو نفيهما ونقضهما سوى المُصادرة العلمية أو الاقتناع أو شهرة الحكم أو القيمة بين الناس باعتبار هذه المناهج في الاعتقاد والتعرف ليس لها كبير وزن في تحصيل الحقيقة.

وافترضنا للخروج من هذا المأزق وترميم التعقل ضرورة التوسل بمنهج ومنطق يستطيع أن يحيط ويتسلل إلى أكبر مساحة ممكنة في مواقع الإدراك والحكم لدينا ، وهذا المنطق بلا شك هو " المنطق الحجاجي الطبيعي " الذي يُقر التعددية منهجا في التفاعل مع الموضوعات ويتوسل باللغة وبلاغتها ، إذن سيكون حديثنا عن بنية الحجاج التي هي اللغة من حيث إمكانياتها وعن هيئة الحجاج التي هي الحوارية.

الكلمات المفتاحية: المنطق الطبيعي، الحجاج، اللغة، البلاغة

Abstract

An Introduction to the Natural Argumentation Logic - Argumentation is a Human Necessity

Fur hypothesis in this article is that the main problem of the researchers in the field of humanities lies in the contradiction and the methodological mistakes in using the evidence. This contradiction is a natural outcome of the duplication between the rationalization process and the mathematical logic. This led to the conclusion that no deductive argument has a scientific evidence to prove or disprove any case. To come out of the tunnel of this dilemma we suggest that going through the natural process of argument is a necessity. This type of argument uses pluralism and language and its rhetoric as its main tools. Therefore we will be talking about the structure of the argument represented in its language.

Keywords: *Natural Logic, Argument, Language, Rhetoric*

Atıf: معتز حسن محمد أبو قاسم, "مدخل إلى المنطق الطبيعي الحجاجي – الحجاج ضرورة إنسانية", *KTÜİFD*, c. 3, sy. 2, Güz 2016, ss. 55-74.

* Öğr. Gör., Karadeniz Teknik Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belağatı Bilim Dalı, mutazabuqasem@ktu.edu.tr.

سردية تاريخية تأسيسية في علم الحجاج

كان أرسطو محبا لأستاذه أفلاطون ومجلا له وملازما له لمدة عشرين سنة ، وبقي الحال هكذا حتى توجه أرسطو لإنشاء مدرسته الشخصية التي سيبين من خلالها عن نظراته وأحكامه وآليات استدلاله ، وأخذ يطرح آراء مغايرة لآراء شيخه ، وكان كثير من آرائه تصدر بعد المداولة والمحاورة مع طلابه على طريقة المشائين المعروفة من حوارية ودعوى واعتراض و رد ومناقشة وجدل [1]، وهذا النهج الحواري كان معروفا قبل أرسطو فقد كان شيخُ أفلاطون « سقراط « من كبراء هذا النهج ومشهورا بسؤال الإفحام والذي نعته طه عبد الرحمن بـ»سؤال الفحص «[2]. وقد أدان أفلاطون « الخطباء «(والخطابة هي شكل حواري) في مرحلة متأخرة من نشوء هذا الفن الخطابي الذي أخذ منحى آخر من المغالطة من أجل التكسب والتبلغ بالمصالح ، فانقلب المدح الذي كانت تحمله لفظة « سفسطائي « إلى ذم وأصبحت تعني المغالطَ المتكسبَ ، وليس (المعلمَ الصالحَ المحب) كما كانت سابقا ، فقد اعتبر أفلاطون كما اعتقد شيخه سقراط أن (الخطباء/ المحاورين) قد أضحوا يقومون بإضعاف بنية « أثينا « الفكرية ، ومن ثم ضعفها العام بضعف إنسانها والذي لن يلبث أن تفسد أخلاقه بسبب المغالطات والتشكيك غير المدعم للآراء ونقض البديهيات والمسلمات بدون شرط ولا قانون ثم يهتز قانون الإنسان عموما بعد ذلك ويتضعضع مفهوم الدولة مع الزمن .[3]

ويحضر هنا نص عميق للناقد الكبير يوسف اليوسف [4]، فهو وإن كان يتحدث عن لحظة جاءت بعد اللحظة السفسطائية بقرون إلا إنها تشاكل التصور المتأخر للسفسطائية عن الحقيقة وتوصفه بدقة :يقول اليوسف : « لعل ما هو شديد النصوع أن الهزيمة التي لحقت بالمثالية ، أعني تلك التي حلّت بالقيم الروحية خلال القرن العشرين ، قد ترتب عليها نتائج شديدة الخطورة ، أولها وأهمها أن أسانيد الوجود البشري أصبحت عُرضة لنقضٍ و تهديمٍ لم يألفهما التاريخ من قبل ، ويبدو أن الخسران الذي أحدثته تلك الهزيمة لا تعويض له ، أو هو لا يقبل الترميم خلال مدة يسيرة أو قريبة « [5]

وهذا بلا شك كان يقض راحة سقراط ومن بعده أفلاطون ثم جاء دور أرسطو من بعد ذلك ولكنه كان أكثر تفصيلا من شيخيه فيما بلغنا مدونا ، فلم يتابع أفلاطون بإدانة عامة تنقض الحدث (الخطابي /الحواري) فما كان له ذلك وهو المحاور المشائي المشهور ، ولكنه تروى وأخذ يستكشف تلك الخطابة تأثيرا وضرورة ومعاني ومناهج ، ثم خرج علينا بكتابه « الخطابة « مُأصلا ومقسما ومقعدا وناقدا لذلك النمط الحواري ومفرقا بين نافعه وضاره ومظهرا عَواره وخبثه ليتجنبه صاحبه بعد ذلك وفضيلته ليطلبها .[6]

ومعلوم أن أرسطو يرى أن الخطيب أبلغ وأقدر على التأثير في الجمهور من العالم ، وأن « البرهــان « ينزوي في عقول قلة قليلة من الناس تُحسن أن تفهمه ، لذلك لم يكن له هذه السلطة على عقول الناس التي يجدها للخطيب .

---

1 يقول الفارابي :» لذلك نجد أرسطوطاليس يقدم أيضا في أوائل أقاويله في جُلّ ما يلتمس تبنيه من العلوم الطبيعية والإلهية والمدنية الأقاويل الجدلية والفحص الجدلي عن ذلك الشيء ، حتى إذ استوفاها صار بعد ذلك إلى إحضار البراهين في ذلك الشيء.» الفارابي، كتاب المنطق- الجدل، (بيروت: دار المشرق، 1986)، ج 3. ص31.

2 طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2009 م، ص13).

3 «ومما لا شك فيه، أنه لم يكن كافيا بالنسبة لأفلاطون معرفة الحقيقة، وإنما يجب أيضا أن تكون حقيقة متداولة وينبغي على الحشد الاعتراف والإقرار بشرعيتها. ومن أجل تحقيق هذا الغاية، كان لابد من اللجوء الى البلاغة rhétorique، وتوظيفها بالطريقة المناسبة كي تكون - مثلما قال أفلاطون في محاورة" فيدروس « بلاغة جديرة بالآلهة أنفسهم.» لكن، المهمة الرئيسية للفيلسوف تقتضي منه التأسيس établissement لمفهوم الحقيقة، أما مسألة التواصل communication وتشكيل حقائق تداولية، فعلى قدر ما تحمله من أهمية ذات طابع اجتماعي، إلا إنها تظل مسألة غريبة على الفلسفة. « عن مقالة شاييم بيرلمان، « نحو نظرية فلسفية في الحجاج»، ترجمة أنوار الطاهر المنشورة على موقع حكمة بدون تاريخ .

4 مفكر وناقد فلسطيني في الأدب والثقافة (1938 - 2013) م .

5 سامي اليوسف، القيمة والمعيار، (دار كنعان، 2000)، ص٦-11.

6 الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج- الأصول اليونانية ، (دار الكتاب الجديد، 2014).

وقد كان أرسطو محقا في هذا الرأي ومعتقدا له ، لذلك نراه يخوض غمار الجدل والحوار والإقناع والإمتاع خوضا يوميا أكثر من ممارسته للمنطق الصوري الصارم ، لأن الخطيب يقترب من الجمهور ويلتحم معهم ويفهم عنهم حقيقة لا يجليها البرهان .[7]

ولكن ذلك لم يدفع أرسطو لأن يفضل ولا أن يساوي بين الحجاج والبرهان في الرتبة ولا جعلهما تنويعا، متدرجا يعلو أحدهما على الآخر أحيانا بحسب مطلب النظر للموضوع .

بل أعطى السيادة للبرهان وجعل الخطابة[8] والتي هي حوار واحتجاج دونه .وهذا لا يسلَّم لأرسطو لأن البحث اللغوي والتاريخي والجمالي والأخلاقي والقيمي ، والمفاهيم السياسية والاجتماعية والدينية وعموم المفاهيم الإنسانية تحيط إحاطة تامة بالإنسان الذي يستعصي على الصورنة الصارمة وينزع إلى المحتمل ، وهذه ضرورات لا يطيق الإنسان العيش بدونها ، وهي ضروروات لا يطيقها المنطق الصوري ، فعلم أن هذه الضرورات التي هي قوام حياة المرء لا يحسن أن تكون نازلة رتبة عن الضرورات التي تجعل من الإنسان نهجا آليا رياضيا مع أن هذا النهج لا يدخل إلا في جزء متواضع من حياة الإنسان .

أسطورة المنطق الواحد

إن من أشد ما يقض مضجع الإيمان والتعرف والعلم والنظر هو التصديق بوجود منطق واحد لا غير للحقائق يسمح لنا بان نصدق بيقين أو أن لا نصدق أبدا ، فمتى اقتنع الإنسان بأن هناك منطقا واحدا يُسيِّر حياته ويحكم كل متناقضات اليوم عنده ولا يرى به إلا منطقا واحدا ينظم هذه العلوم المتغايرة في المناهج والمقاصد والأحوال سقط في هاوية التناقض غير الفاعل وأفضى به الجواب إلى لا جواب.

وصحيح العقل[9] يطلب بلا ريب لهذه الأشكال المختلفة من الموجودات و التصورات والتَعَرُّفات و الفروض والتجريب والحدس والشعور أنواعا من المنطق[10] تُقَعِّد لها و تُأطر تصوراتها وتجمعها بشكل منسجم يأخذ بالحسبان خصوصية المادة المنظور فيها والموضوع ، فكان من الضروري طرح التنوع [11]

لذلك كان لابد من حفظ خصوصية المبحث العلمي ، وحفظ رتبة العلم، فما يصلح بحق علم لا يصلح بحق علم آخر .

---

[7] من الكتب العميقة في تحليل الموقف اليوناني عموما والأرسطي خصوصا – على صعيد الموقف من المفاهيم وقصة حياتها وعلى صعيد نقد بعض الترجمات العربية - من الخطابة والحجاج كتاب الحسين بنو هاشم « بلاغة الحجاج –الأصـول اليونانية « المنشور عن دار الكتاب الجديد المتحدة و بحث لمحمد الـولي بعنوان « الحجاج – مدخل نظري تاريخي « وخاصة في حديثه عن « مهـد النظرية الحجاجية « .

[8] إن موضوع الخطابة هو هذا المجال الرحب ، مجال القيم حيث الاختيارات لا يمكن حسمها حسما نهائيا أبدا ، إنه مجال كل ما هو غامض ومائع ، المجال الذي يكون معه أي اتفاق مجرد حدث محتمل أو مقبول ، و غير مستند إلى أي أساس ضروري كما هو الأمر بالنسبة إلى العلوم « محمد الـولي « الحجاج – مدخل نظري تاريخي « وخاصة في حديثه عن « مهـد النظرية الحجاجية « .ص83 .بحث منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته تحرير حافظ إسماعيلي علوي .

[9] « بدءا من أواخر العقد السادس من القرن العشرين ظهرت في الساحة النظرية المنطقية توجهات منطقية لاصورية آمنت بقصور المنطق الصوري في شكله التقليدي الأرسطي والرواقي أو في شكله المعاصر كحساب القضايا وللتوابع الصدقية ، أي في شكله الرياضي ، عن أن يكون أداة مفيدة في وصف وتفسير الظاهرة التدليلية كما تتجلى فعلا في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام ، وفي التفاعل الحجاجي العلمي أو العادي ، بشكل خاص إن المنطق الرياضي لا يمكنه أن ينفع في دراسة تدليل وتفاعل حجاجي لا يمكن تصور وجوده بدون ذوات وبدون لغة تتواصل بها هذه الذوات « حمو النقاري، منطق الكلام – من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، (الدار العربية للعلوم، 2010)، ص459.

[10] يرى إدغار موران أن هذا الإحكام المنطقي للاستنباط بقي مضمونا ومعتَقدا به إلى أن قام « غودل « بإثبات «مبرهنة عدم الاكتمال « و فتح بذلك ثغرة ممتنعة الغلق في المنطق الرياضي ، وحدد بذلك انهيار أسطورة منطق التسيد المكتفي بذاته .الأفكار ص٧١٤ .

[11] « المعرفة ستكون مستحيلة في عالم إما حتمي تماما أو صدفوي تماما – أي غير معلل – ولا يمكن أن تمارس وتتطور إلا في عالم يوجد فيه تحاور (الوحدة / التنوع) و(النظام / اللانظام / التنظيم) التي هي شروط وجود عالمنا ووجودنا ، هي في الوقت نفسه شروط المعرفة « معرفة المعرفة ، ادغار موران ، ص225 .

فقد « كشفت الثورات العلمية والتحولات المعرفية أن مسألة اليقين العلمي ليست بتلك البساطة القديمة التي كان النظر التجريبي يقرها هو و المنطق الصوري بل هي مسألة معقدة جدا تنطوي على جمع من المتغيرات الكبيرة والتي تجعل في اليقين درجات تبتعد وتقترب من المطابقة ، وأن نظام التعقل هو نظام حواري ونتائجه إمكانات معرفية ، واكتشف العقل المعاصر أن قوته ليست في انسجامه وتناغمه وتوحده بل تعدده واختلاف « [12]

ونحن نرى اليوم أمامنا ما مثلته التعاملات اليومية التي لا تنفك ملابسةً لنا في كل لحظة كيف شكلت نقطة ضعف قوية في بنية الأنساق المنطقية الصارمة المغلقة الصورية ، فتلك التعاملات اليومية تتطلب منا أحكاما في مسائل ملتبسة وغامضة ومتحركة ومتبدلة وتتطلب منا اتخاذ قرار بالرغم من نقص المعلومات التي نحتاجها . «[13]

ويعتقد إدغار موران « أنه من اللازم تجاوز وتضمين ونَسْبنة منطق الاستنباط والهوية ، ليس فقط ضمن منطق مخفف بل أيضا ضمن منهج فكري معقد سيكون حواريا منطقيا «[14]

بل إن كثيرا من الباحثين توصلوا إلى نتيجة مؤداها أن المعرفة العلمية اليوم أصبحت مشروطة بالتفاعلات القائمة بين الجماعة العلمية وما يصاحبها من ميول خاصة تنبثق من الخصوصيات لا من العام المشترك ، وأصبح المحيط المادي والمعرفي جزءا من الموضوع [15] أي حضور الذات باعتبارها نسبية وليست متعالية ميتافيزيقة [16]

ويرى طه عبد الرحمن[17] أن « التصور القديم يَعد البرهان استدلالا صحيحا صحة مطلقة في حين يعده التصور الحديث صحيحا صحة مقيدة ، فلا صحة إلا ضمن نسق مخصوص ، ولو أن جُل المبرهنات المعلومة مشتركة بين مختلف الأنساق المنطقية المشهورة إذ يبقى دائما في الإمكان إيجاد قضية واحدة قد تصح في هذا النسق ولا تصح في ذاك « [18]

ثم جاء الوعي الحديث بالعلم اليوم ليستقر على التسليم بوجود عدد كبير من المسلمات والبديهيات القارّة في البُنى المعرفية وهي أشبه بالمصادرات غير المعللة ، ولكنها في حقيقتها ليست إلا مبادئ للتعرف وأوليات معرفية يقبلها الكل ولا يرفضها ، وأولى هـذه المسلمات وأعمقها وأكثرها تغلغـلا في النفس الإنسانية « اللغـة « وأقصد الطبيعية .[19]

فالإنسان هو ذلك الموجود الاجتماعي الذي يتبع جماعة ما ، وهو لا يلبث يستخدم لغة ما واعتقادا ما وقيمة ما ، و « انتسابٌ فرد من الأفراد إلى جماعة معينة ما هو إلا اتباع وانقياد واهتداء بالمشترك الذي يمثل كنهها وجوهرها وميزتها

---

[12] عمارة ناصر، البلاغة والفلسفة، (دار الاختلاف، 2009)، ص66.

[13] حسن الباهي، العلم والبناء الحجاجي، بحث منشور ضمن كتاب الحجاج -مفهومه ومجالاته، (دار الروافد الثقافية، 2013)، تحرير وإشراف حافظ إسماعيلي علوي، ج ١، ص371.

[14] ادغار موران المنهج ، ص824.

[15] حسن الباهي، العلم والبناء الحجاجي ، ج١، ص 385.

[16] أي الذات الناقصة والمتقبلة والمتواضعة التي تدخل تمارس وضعها الخاص ، ولا تحمل الوعي السامي المطلق الذي يتعالى على الزمان والمكان ، إنها تستدعي البعد التاريخي للوعي .

[17] طه عبد الرحمن مفكر مغربي وهو أستاذ في المنطق وفقه اللغة وصاحب مشروع إصلاحي يقوم على إعادة استشكال المفاهيم لإعادة استنطاقها بعناصر جديدة مضمرة قصرا أو جهلا ، وهو يجمع بين «التحليل المنطقي» و«التأثيل اللغوي» والانبعاث من التجربة الصوفية ، ويتوسل لتحقيق مشروعه التجديدي بالتراث الإسلامي و أهم مكتسبات الفكر الغربي المعاصر على مستوى «نظريات الخطاب» .

[18] طـه عبد الرحمن، اللسان والميزان، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006)، ص62.

[19] تتوفر اللغة العادية المسماة بالطبيعية على الغنى لأنها خليط من الدقة والغموض ، فتمكن الفكر من متابعة طريقه عبر مستنقعات الغموض وتلتف على المناطق المغرقة أو تقفز عليها ، تكمن أحد التفوقات الراهنة للعقل البشري على الحاسوب كونه لا يتوقف أو يعجز أمام انبثاق الغموض والظني ، إنه التفوق ذاته الذي تتوفر عليه اللغة العادية مقارنة باللغات المصورنة أو المتقننة حيث تصير الصرامة القصوى النافعة لهذه الوظيفة المتخصصة أو هذا الاستعمال المجرد تزمتا مفرطا بالنسبة إلى الاستعمالات المتعددة الأوجه ، ليس في الحياة اليومية فقط بل في الفكر الانعكاسي أيضا « ادغار موران، معرفة المعرفة، ت: يوسف تيبس، (دار افريقيا الشرق، 2013)، ص191.

ومبدأها ومنطلقها«[20]

ومن أجل ترميم العقل تقلب العقل في أطوار كثيرة قبل أن يبلغ نوعا من الاستقرار يدعم التعددية المنهجية بعيدا عن سطوة الرؤية الوحدوية وبعيدا عن نظرية تستطيع أن تفسر كل شيء ، فجاءت أولا صرامة البرهان المنطقي الأرسطي بإجرائيته واحتسابيته وصورنته وهيمنته على المعرفة العقلانية تضغط وبشدة منذ ألفي سنة تقريبا نحو استبعاد الفوضى والتناقض من الساحة العلمية باعتبارها دعوة للغموض والسيولة المطلقة للمعنى وغياب المركز ، أي كان النظر ينزع إلى توحيد رؤية صارمة ذات مقدمات واضحة ضرورية لتنتج بعد ذلك يقينا يستبعد الاحتمال واللامعلل واللامنضبط[21].

ثم كانت الصرامة العلمية التجريبية ثانيا تحاول استبعاد التصورات المبنية على الافتراض والظن والاحتمال إلا إجرائيا و مرحليا لتفضي إلى حقائق الواقع التي يفرزها الواقع نفسه ، ولا تُفرض عليه من الذهن من الخارج ، وبذلك أصبح للعلم حد جديد يطابق التجريب .وبحسب « كارل بوبر : « ما لا نستطيع أن نختبره بشروطنا لا يمكن أن نسميه علما «

ولكن ما لبث النظر الجديد ثالثا أن تنازل عن أهم صفاته وهي الصرامة العلمية والضبط القطعي للعناصر محل النظر[22] ، والتنازل عن اليقين [23] في هيئته المشهورة ، لينتقل إلى الاحتمالي [24]والممكن واللايقيني [25]، وأصبحت الحقيقة تكاد تكون ذلك الشيء الذي يعتقده العالِم – وبشكل جلي في الدراسات الإنسانية [26]- وإن لم تكن تبلغ شرط تصور الحقيقة القديم الذي يرى الحقيقة أمرا بذاته لا مدخل للذاتي فيه والاحتمالي والممكن[27].

ويسوق لنا « إدغار موران «[28] سردا طويلا من أسماء العلماء الذين استعادوا الفكر التأملي ليندمج مع العلوم

---

20 حمو النقاري، منطق الاختلاف ، ص7.

21 تكمن نواة المنطق التقليدي – الصارمة - في الهوية والاستنباط والاستقراء التي تضمن البداهة والاتساق والصحة الصورية لنظريات الخطاب . ص 406 . إدغار موران، الأفكار، ت: يوسف تيبس ،(دار أفريقيا الشرق، 2013) .

22 « إن وجود مرتكزات خارج حدود المقولات العقلانية – السائدة – لا يعني الإشارة إلى اللاوعي ، اللاإرادي واللامعقول ، ولكنه يشير إلى مناطق عقلانية ولكنها مهجورة ومنسية تتمظهر في اللغة وتتسرب في الخطاب ، فقد لجأت الرياضيات مثلا إلى اعتماد العدد التخيلي (ت) في الأعداد المركبة لإيجاد حلول للمسائل التي يعجز العدد الحقيقي وحده عن حلها « الفلسفة و البلاغة ص 45 .

23 « تقودنا الثغرات المنطقية المفتوحة في القياس بواسطة مفارقة الكريتي ، وفي الانطولوجيا بواسطة الفلاسفة الجدليين ، وفي الصورنة بواسطة مبرهنة غودل ، وفي المعرفة العلمية بواسطة الفيزياء المعاصرة إلى مبدأ اللايقين المنطقي ، لا يوجد اليقين المنطقي إلا في مستويات دنيا من البرهنة ، بل إن هذه المستويات الدنيا يمكن أن يكون بها أفخاخ كما تبين ذلك مفارقة ابيمندس « إدغار موران، المعرفة ، ص 419 .

24 تعدد المنطق الاحتمالي إلى عدد لانهائي من القيم الممتنعة البرهنة كما يرى «غوزاتس « فظهر المنطق الرباعي (الصدق ، الكذب ، غير صادق ، غير كاذب) «هايتنغ « وظهر المنطق الثلاثي (صادق ، كاذب ، ممكن) «لوكزافيتش « وظهر منطق عبر وصلي متعدد القيم تتراوح بين النعم ...واللا ، وظهر منطق التضاد والتناقض «شيفان لوباسكو « وظهر منطق بياردن «القانون الرابع « وهو بمثابة إضافة قانون رابع لقوانين أرسطو الثلاثة ، وهو أن تكون المتقابلات متماثلة في حدودها المشتركة « ادغار موران، الأفكار ، ص426 و تم إعادة بعث منطق بور رويال كنظر فاعل يجب أن يعاد له الاعتبار ، حمو النقاري، منطق بور رويال ،(دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2013).

25 « منذ الآن لن يقبل الشك والنسبية معا الإقصاء « إدغار موران، معرفة، ص27.

26 « والعلم التجريبي نفسه الذي فرض مناهج تفكير حاول اختزال الإنسان في مركباته الطبيعية هو نفسه الذي أثبت أن جوهر الأنسنة (الأخلاق والشعور والإدراك) لا يمكن إخضاعه للقياس والإدراك الحسي فقط ، فالنظرة المادية محصورة بين فكي تطور العلوم من جهة والعيوب التي نتجت من محاولة سحب ناتج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية من جهة أخرى « ص23 ، العالمية الإسلامية الثانية - جدلية الغيب والإنسان والطبيعة ، محمد أبو القاسم حاج حمد، تقديم ومراجعة محمد العاني، (دار الساقي، 2012).

27 « يقول هاينبرغ : لا يتطلب البديل في النظرية الكوانطية بالضرورة الجواب بنعم أو لا ، لأن هناك اجوبة أخرى « إدغار موران، المنهج، ص 413. « ولقد هدم كل من انبثاق اللاحتمية الكوانطية ومبدأ عدم اليقين لهايزنبرغ والاعتراف بالتناقض الممتنع التجاوز في مفهوم الجزيء فكرة الوحدة الأولية الواضحة والمتمايزة وفكرة الحتمية الميكانيكية معا ، وبلغ بارتدادٍ « مبدأ الهوية» و»التناقض» و»الثالث المرفوع « ادغار موران، المنهج، ص 411. « ونحن عندما نعيد للذات قوتها وندمجها في البحث العلمي نكون بذلك قد أعدنا « للأنساق الملاحِظة « مكانتها ، فالذات ليست شيئا زائدا خارج النسق ، بل هي نسق بحد ذاتها .

28 هو فيسلوف فرنسي وعالم في الاجتماع موسوعي ، ينزع في أبحاثه إلى تشكيل تعددية منهجية احتمالية تستوعب حجم المتغيرات الكبير في الساحة

الحَقَّة [29]

و هذا الذي وصل إليه العقل العلمي الغربي لا يكفي في أن يحل أزمة الإنسان متعدد الأبعاد [30]، فما زال العلم بهيئته التجريبية يشكل قِوامة على كل الأبعاد الإنسانية وكل مناطق الوعي واللاوعي ويجمع القطعي والاحتمالي في بوتقة واحدة إلا استثناءً ، ولكن هذه الأبعاد المتعددة والمتباينة رتبةً وأهميةً وضرورةً تحيط بالإنسان إحاطة تامةً كالسوار بالمعصم ، فكان لابد من كسر الحصار الذي يصب جام غضبه على أي نظر تتبدى فيه النفس الإنسانية حرَّةً مُختارة ، ما لم تكن هذه الحرية ممكنة على الصياغة والوضع في قالب اشتراطي ولو احتمالي ، أي إن تنازل الصرامة البرهانية والتجريبية عن طلب اليقين والقطع والصرامة لم يكن لصالح الاحتمالية واللايقين والممكن بقدر ما كان زحزحة وتقريبًا للايقين نحو اليقين ، أي باعتبار اللايقيني حالة من الخطأ والتردي المنهجي[31] الذي لاحيلة في معالجته ـ وضرورة حبذا لو لم تكن ممكنة الحدوث [32].

ولكن مع تعاظم محاولات كثيرٍ من الفلاسفة والعلماء الذين استعادوا وعيهم الإنساني ورشدهم في تقرير حقوق الأبعاد غير العلمية الصارمة بل قوامتها على العلم ، إلا أن التيار الحداثي[33] بسلطته وجمهوره الذي صنعه في دهورٍ متراكبة ومتراكمة أخذ يصف أولئك الفلاسفة والعلماء بـ» مابعد حداثيين «[34] وهو نعت في الإدانة والقدح . فالحداثة بمعناها الغربي - بزعم البعض - هي لحظة النهوض والسير والتقدم واستكشاف الوجود الحقيقي والضروري للإنسان واستشكاله بنهجٍ صحيح و واضح ، أما « مابعد الحداثة « فهي انتكاس ورجعية ضد الآلية والحوسبة والعلم .

فكان الانتقال = من منطق هدفه أن يستبعد الغموض إلى منطق أصبح من الممكن من خلاله التعامل مع الغموض باعتباره معنى لا كأنه خالٍ من المعنى ، وتحديد قيمة صِدقية تتوقف على درجة هذا الغموض[35] و التناقض = هو المطلوب [36].

العلمية وتقبل التضاد والاختلاف والممكن في داخل مكوناتها ويرفض الاختزال التجريدي كرؤية أحادية .

[29] فمنهم بوانكاريه ، ماخ ، أينشتاين ، بور ، بورن ، باولي ، هايزنبيرغ ، دي بروغلي ، شرودينغار ، شليك ، هولتون ، بونج ، شويرير ، بوهم ، ويلير ، ديسبانيا ، كوسطا دي بورغار ، بريغوجين ، فيجييه ، ليفي لوبلاون ، شارون ، هويل ، ريفيس ، كارتر ، شيو كابرا ، نيكوليسكو ، مونو ، جاكوب ، لوريا ، كريك « ادغار موران، معرفة ، ص32 .

[30] كما يفصل هربارت ماكوز في كتابه « الإنسان ذو البعد الواحد « ترجمة جورج طرابيشي .

[31] فدائرة فيينا مثلا كانت ترى « أن ما ينفلت من المنطق والفهم التجريبي تافه ولغو « ادغار موران، معرفة المعرفة ، ص410 .

[32] «الخطأ وحده سجين شروط تشكله الاجتماعية والثقافية ، وتعتبر الحقيقة انبثاقا غير اجتماعي يتطابق مع الواقع« ادغار موران، المنهج، ص256

[33] لها تعريفات كثيرة منها أنها : ممارسة السيادات الثلاث عن طريق العلم والتقنية ، السيادة على الطبيعة والسيادة على المجتمع والسيادة على الذات « طه عبد الرحمن ، روح الحداثة، (بيروت: المركز الثقافين) ص23. ومنهم من يعرفها بـ» النهوض بأسباب العقل والتقدم والنهوض « طه عبد الرحمن، روح الحداثة ص23.

[34] يميز تيري إيغلتون بين ما بعد الحداثة وما بعد الحداثية باعتبار أن الأولى موقف يُتخذ وأن الثانية أسلوب ونمط قائلا "تنظر ما بعد الحداثة إلى العالم، بخلاف معايير التنوير، بوصفه طارئا عرضيا، بلا أساس، متباينا، بعيدا عن الثبات، وبعيدا عن الحتمية والقطعية، وبوصفه مجموعة من الثقافات أو التأويلات الخلافية التي تولد قدرا من الارتياب حيال موضوعية الحقيقة، والتاريخ، والمعايير، والطبائع المتعينة والهويات المتماسكة. وهذه الطريقة في النظر لها شروطها المادية الواقعية، كما يزعم البعض. فهي تنبع من تحول تاريخي شهده الغرب صوب شكل جديد من الرأسمالية؛ صوب عالم من التكنولوجيا والنزعة الاستهلاكية وصناعة الثقافة، عالم سريع التبدد والزوال، بعيد عن التمركز، انتصرت فيه صناعات الخدمات والمال والمعلومات على المصنع التقليدي، وأخلت فيه السياسات المرتبطة بقضية الهوية. أما ما بعد الحداثية فهي أسلوب في الثقافة يعكس شيئا من هذا التغير التاريخي، وذلك في فن بلا عمق، ولا مركز، ولا أساس، فن استبطاني متأمل لذاته، ولعوب، واشتقاقي، وانتقائي، وتعددي، يميع الحدود بين الثقافة «الرفيعة" والثقافة «الشعبية»، كما يميع الحدود بين الفن والتجربة اليومية. وما يبقى مسألة خلاف وسجال هو مدى سيطرة هذه الثقافة أو انتشارها، أي ما إذا كانت قد قطعت كامل الشوط أم أنها تمثل نطاقا محددا وحسب ضمن الحياة المعاصرة «محمد جديدي، «الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي»، (رسالة دوكتور، جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر، 2005-2006)، ص 125 .

[35] « يقول بيرلمان : « ولن نندهش إذا علمنا أن القيم الكونية والتي نعتبرها أدوات إقناع بامتياز ، محددة من خلال المفاهيم الأكثر غموضا والتباسا في فكرنا « البلاغة والفلسفة ، ص76 .

[36] « يشمل الفكر والمعرفة والنظرية والمنطق في ذواتها مثل باقي الوقائع المنظمة الحية اللايقينيات والصدف والالتباسات والنزاعات والثغرات

ويشخص « إدغار موران « حالة الغموض والتناقض باعتبارهما فاعلتين وضروريتين قائلا : « إنه يشكل في الوقت نفسه تجلي المجهول في المعلوم وبروز بعدٍ خفي وانبثاق واقع أكثر غنى ، كما يكشف في الآن نفسه عن حدود المنطق وتعقيد الواقع ، عندئذ لا يعد التناقض الموضوع عقلانيا وتنبيهيا إلى الغلط أو الخطأ ، بل يصير مؤشرا وإعلانا عن الصدق «[37]

بل يصبح « اللامنطقي ضروري للإنسان وأنه ينجم عنه خير عميم ، يرتبط اللامنطقي ارتباطا وثيقا بعمق الانفعالات بعمق اللغة والفن والدين ، وبشكل عام بكل ما يضفي قيمة على الحياة ، بحيث لن نستطيع أن نفصله عن هذه الأشياء الجميلة دون أن نفسدها بشكل لا يمكن إصلاحه « [38]

وفي خضم هذه التصورات المتضادة ننظر في الحضور الإسلامي فيما يخص معنى الحقيقة واليقين والظن والشك والفرض والممكن ودرجات الوجود والتعرف فنجده قد بلغ شوطا بعيدا في النظر التراثي وأدبياته في البحث العلمي و الكتابات المنهجية وآداب البحث والمناظرة و طرائق الحجاج والاستدلال [39].

ثم جددت الدراسات الإسلامية المتحققة بالشروط البحثية على وجهها المعاصرةَ ، فرأينا نوعا من الأبحاث المنطقية واللغوية والاجتماعية القمينة بالدرس والبحث ، وكان من أوائل من خاض هذا الغمار تفهما وإفهاما وتبينا وإبانة الدكتور طه عبد الرحمن من المغرب ، فأبحاثه هي الأكثر جدة ونقدا وتماسكا وأصالة ، ثم تفجر ينبوع الدراسات من بعده وازدهرت الدراسات المنهجية والتي تعني بنظرية المعرفة ونظريات القيم والنظر المنطقي وأنواعه ، مستوعبا الاحتمالي والاحتجاجي .

وكان حظ « المنطق الحجاجي « [40]حظا عظيما لما فيه من فضيلة على النفس الإنسانية وتغلغل فيها وتعلق بأبعادها و أبعاد الحياة اليومية المندمجة فيها بكل محمولاتها الأخلاقية والدينية والسلوكية والثقافية والسياسية ، ومعلوم أن هذه الأبعاد من الإنسان لا يحسن تهميشها من خلال انضوائها تحت غيرها من دوائر المنطق والبحث ، فهذه تبعية تنتقص خصوصيتها ولزوميتها ، فالتعدد المنهجي والمنطقي لازم لا مناص عنه .[41]

حول الحجاج والمنطق الطبيعي[42]

تتداخل بعض المفاهيم بشكل لا يمكن للباحث من الفصل بينها ، ذلك لأن بعض المفاهيم ملتبسة أو مؤسسة على بعضها البعض إلى درجة أن يكون بعضها جزء من الآخر ، مما يقلل من احتمال القدرة على تجريدها من بنيتها المتراكبة ثم من سياقاتها ، ويتجلى هذا كثيرا في البنية اللغوية وملابساتها ، حتى عبّر « أبو حيان التوحيدي» عن هذا التعالق العالق قائلا

والانفتاحات ، وبذلك لا يتواصل الفكر مع الكون ضمن بناء منطقي مشترك بل ضمن عدم التمام المنطقي « إدغار مورغان، المنهج، ص424 .

37 ادغار موران ، المنهج ، ص414 .

38 نيتشة ، إنسان مفرط في إنسانيته، ت: محمد الناجي ،(دار افريقيا الشرق ، الدار البيضاء، 1998)، ص35 .

39 تحدث بشكل دقيق كل من محمود شاكر وطه عبد الرحمن عن أصلٍ نعتوه بـ» الأصل الأخلاقي « كان يؤسس التصورات النهجية والبحثية والعلمية وطرائق النظر عند المسلمين وأثبتوا أنه منهج متكامل ومتداخل كذلك ، مقدمة كتاب المتنبي ، وأباطيل وأسمار لمحمود شاكر ، وأصول الحوار وكتاب التكوثر العقلي كلاهما لطه عبد الرحمن ، وكتاب منطق الكلام وكتاب المنطق في الثقافة الاسلامية لحمو النقاري .

40 الحجاج : طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة ، وعلى هذا الأساس من الطبيعي أن يكون مجال الحجاج هو المحتمل والممكن والتقريبي والخلافي والمتوقع وغير المؤكد « وهو وصف ابتدائي إجرائي ارتآه حافظ اسماعيلي العلوي وجمع به الصفات المشتركة للحجاج والتي لا يكاد يختلف عليها أحد في تقديمه للكتاب الذي حرره وهو « الحجاج –مفهومه ومجالاته ، ص44

41 « علينا أن نعمل بالوصية القديمة فنعطي ما لقيصر لقيصر أو أن نتخذ هذه الوصية في قالبها الحديث العام فنعطي للعالِم ما يخص العلم والميتافيزيقيا ما يخص الميتافيزيقيا « مفهوم العقل ، محمد سعيد ريان ، الحضارة العربية، 2012، ص81 نقلا عن كتاب « هل ينقذنا العلم « لصاحبه لندنبرغ .

42 المنطق الطبيعي : هو المنطق الذي يهتم بالتدليل باستحضار طرفيه ، مُنجزه من جهة ومتلقيه من جهة أخرى ، فضلا عن الأقوال الواردة فيه .... تمييزا له عن المنطق الذي يهتم بالتدليل مجردا عن صاحبه وعن المخاطب به « . حمو النقاري، المنطق في الثقافة الإسلامية، ص66 .

: « الكلام عن الكلام صعب ، لأن الكلام المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحس ممكن ، وفضاء هذا متسع ، المجال فيه مختلف ، فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه ويلتبس بعضه ببعضه ، ولهذا شق النحو وما أشبه النحو من المنطق «[43]

وهذا ينطبق على موضوعنا الذي نخوض فيه اليوم ، فقد أدت القراءة و النظر الحديثان بشأن تحصيل المعارف وتحصيل الجواب على السؤال ؛ أي سؤال كان ، إلى وجوب إعادة النظر في مصادر تحصيل المعارف[44] ثم إعادة النظر في حقيقة اليقين ثم النظر في علاقة اليقين بالمعارف من جانب الحاجة أو عدمها لهذا اليقين مثل الاكتفاء بالظن والراجح والمشهور والمقبول وعن علاقة المقدمات بنتائجها وعن تعدد الأنماط التدليلية [45].

وقد تجلت شدة التداخل بين هذه المباحث والمعارف وظهر أن اللغة هي بلا شك تلك الإمبراطورية التي تحدث عنها شاييم بيرلمان ، وأنها كذلك تحسن أن تتخلل في كل العلوم وتشكل قوامة لا تزول[46]. بل إن كلام محمود شاكر في هذا الموضوع دقيق جدا –وإن كان حديثه في ظاهره عن العلوم العربية الإسلامية – حيث يقول : « علوم العرب مجاز واحد « .

وبهذا أفضي النظر إلى إن (منطق الحجاج /والمنطق الطبيعي / ومنطق اللغة/ الحوار) مفاهيم متداخلة متلاحمة قد تتبدى أحيانا بدلالة واحدة متطابقة ولو إجرائيا .

فإن « منطق اللغة يعني أنه يوجد طابع استدلالي في بنية اللغة الطبيعية»[47] ذاتها [48] ووجود علاقات استنباطية بين مكوناتها دون اللجوء إلى اصطناع هذه المكونات أو صورنتها[49] ، إذ توجد بين بعض ملفوظات اللغة الطبيعية علاقات حتمية ، حيث إننا عندما نقبل هذه الملفوظات نكون مجبرين على ملفوظات أخرى «[50]

وإذن نجد بين (المنطق الطبيعي =الحجاج= وهو فعالية لغوية اجتماعية وعقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل بمقبولية رأي من الآراء، وذلك عبر تقديم جملة من القضايا) واللغة ذاك التداخل الذي يصل حد الالتباس الشديد [51]، ولما كانت

---

43 أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، (بيروت:مكتبة الحياة)، ج 2، ص131.

44 « يجب أن نتجاوز النظرة التبسيطية التي تظلل الحالة الطبيعية للفكر أي إلى التعقيد فبذلك نعي حقا مصادر معارفنا .

45 إن النظر الإنساني لا ينتقل دائما من قضية (المقدمة) أو قضايا (المقدمات) إلى ما يلزم عنها من نتيجة (نتائج) ، إنه في بعض الأحيان يكون انتقالا من موضوع إلى موضوع ، كما أن القضايا الواردة في النظر الطبيعي لا تدور ، كما هو الشأن في الأنساق المنطقية الصورية بين أن تكون مسلمات أو مبرهنات ، إن بعضا منها قد يكون من المبرهنات أو من المسلمات ولكن البعض الآخر يكون من التقريرات ومن أحكام الواقع ومن الدعاوى ومن الفرضيات ومن الأسئلة ومن الأوامر ... ويترتب على هذا التنوع في قضايا النظر الطبيعي تنوع في أنماطه التدليلية « حمو النقاري، منطق الكلام، ص460 .

46 « لا يمكن أن نعي الوعي إلا بعون لفظ « الوعي « مما يعني أن اللغة ضرورية للوعي كي يتمكن من أن ينعكس أي يُظهر ذاته « ادغار موران ، معرفة المعرفة ، ص198.

47 طبيعية : بمعنى أن اللغة لا تحيل إلا إلى ذاتها ، ولا يتم تجاوزها إلا بنفسها ، وبهذا المعنى يمكننا أن نقول عنها طبيعية

48 عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة – مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي،(دار منشورات الاختلاف، 2009) ص48

49 اللغة الصورية : هي كل لغة علمية تتركب من عناصر ثلاثة : الأبجدية وقواعد التركيب وقواعد الاستنتاج ، فأما الأبجدية فتتكون من جملة من الرموز المكتوبة التي تنقسم إلى ثوابت ومتغيرات ، وأما قواعد التركيب فهي تنتقي من بين التراكيب الممكنة بواسطة رموز هذه الأبجدية جملةً التراكيب المقبولة أو السليمة نحويا ، وأما قواعد الاستنتاج فأشهرها قاعدة الاستبدال وقاعدة استثناء عين المقدم أو «قاعدة الوضع « وهي تنطلق من مجموعة متناهية من التراكيب السليمة جاعلة منها مسلمات – أي قضايا مُسلم بصحتها – فتشتق منها باقي التراكيب الصحيحة ، وخير مثال على اللغة الصورية : لغة منطق المحمولات التي تستعمل في صوغ الرياضيات وكثيرٍ من النظريات العلمية . طه عبد الرحمن، المنطق واللغة ، ص 17.

50 عمارة ناصر، الفلسفة و البلاغة، ص104.

51 إن المنطق واللسانيات آلتين في واحدة ، يندمج كل منهما في الآخر بشكل حميمي وعميق ، ولا يمكن أن نختزل أحدهما إلى الآخر ، موران ، المنهج ، ص395 .

البنية الحقيقية التي يتبدى بها (الكلام = الخطاب [52]= اللغة = البيان)[53] هي بنية بلاغية تبين لنا أن المنطق الطبيعي يشكل دافعية حقيقية للفعل الإنساني = « فإنتاج الملفوظ هو القيام بالفعل « كما يقول « أوستن «[54] . وجوهر المعنى هو « تحول المنطوقات المجردة إلى أفعال تمريرية « بحسب « سيرل John Searle»[55]= لذلك نجد أن الحجاجية إجمالا هي بناء للفعل في الحقيقة بعد حدوث الإقناع ، بمستوياته الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية ...والتي تنضوي كلها تحت « العلم الكلي « الذي هو البلاغة ، كما يسميها حازم القرطاجني في منهاجه والتي تتغلغل إلى حيث شاءت وتبسط سلطتها ولا يُدرك منتهاها « وكيف يظن إنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب ، وهي البحر الذي لم يصل إليه أحد مع استنفاد الأعمار « .[56]

فالحجاج خطاب حقيقته كما يقول طه عبد الرحمن « ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير ، وإنما هو الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض ، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو « العلاقة الاستدلالية « وليس العلاقة التخاطبية وحدها ، فلا خطاب بغير حجاج ، ولا مخاطِب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة « المدعي « ولا مخاطَب (بفتح الطاء) من غير أن تكون له وظيفة « المعترض « [57]

ويجعل الفارابي من « الخطابة « باعتبارها خطابا طبيعيا « الفلسفة رابعة و الفلسفة البرانية والفلسفة الخارجة « يُلتمس تعليمها للجمهور بالأشياء المشهورة [58] وكما يرى «حمّو النقاري أستاذ المنطق في جامعة محمد الخامس « فإن الفارابي يرفع من قيمة الخطابة والجدل ليدمجهما في الخطاب العلمي كضابط لمسؤولية العلماء الاجتماعية [59] ثم يخلص « النقاري « إلى أن الفلسفة الرابعة تقتضي أن لا يكون « العالم عالما خالصا ونقيا لا يحضر عنده إلا البرهان واليقين ، وإنما ناظرا يمتزج فيه «العلم» و» اللاعلم» يختلط فيه « البرهان» ب»الجدل» و»الخطابة» .[60]

وهذه مجموعة من التعريفات والأوصاف للحجاج تضيء زوايا متعددة منه وقد توسلنا بهذه الطريقة من عدم الضبط والتعدد الدلالي لأن الحجاج قائم بطبيعته على التعددية والتنوع الدلالي والطي والإضمار وبهذا التنويع في التعريفات يظهر كل تعريف جوانب يطويها الآخر :

- الحجاج مناقشة عقلية بأدوات خطابية
- الحجاج فعل كلامي تجب دراسته في نطاق اللغة لا في البحث عما هو واقع خارجها

---

52 يقول الجويني « فالكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة ، وهو ما به يصير الحي متكلما «الجويني، الكافية في الجدل (القاهرة،) 1979 ص32.

53 « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع « الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ص69 .

54 عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص70.

55 عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص73 .

56 منهاج البلغاء وســـــراج الأدبـــــــاء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، الغرب الإسلامي ، ت: الحبيب بلخوجة ، 6891 ص88

57 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان ، ص226.

58 الفارابي، كتاب المنطق- الجدل، ص36 -37.

59 واجب الاعتداد بعلمي «الجدل» و»الخطابة» فعلى العالم الحكيم أن يكون متمكنا من الأحكام المشهورة والمقبولة والرائجة بين جمهور مجتمعه ، وذلك ليجعل منها عدته وعتيده لترويج الحكمة والعلم داخل مجتمعه ، ومعلوم أن التمكن من «المشهور « و» المقبول « من الأحكام ، والاعتداد بها في التصور والتمثل وفي التصحيح والإثبات ،أمران يُتعلمان في علمي الجدل والخطابة « حمو النقاري، المنطق في الثقافة الإسلامية، ص13.

60 حمو النقاري ،المنطق في الثقافة الإسلامية، ص13.

- الحجاج هو كــل منطوق موجــه إلى الغير لإفهامه دعـــوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها[61]
- الحجاج بمثابة عنصر كامن في اللغة
- الحجاج هو المواجهة بالكلام والمقارعة بالحجة من أجل تحصيل التسليم بقضية أو تقوية الاعتقاد بها
- كل كلام حجاج بالضرورة ، إنها نتيجة ملازمة للتلفظ في مقام معين ، كل تلفظ يستهدف التأثير على المخاطب به ؛ أي على الآخر ، وتحويل نظام تفكيره . كل تلفظ يرغم الآخر ويلح عليه من أجل أن يعتقد ويرى ويعمل بشكل مخالف .
- « الحجاج هو –إجمالا- عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلالية الطبيعية التي تستهدف أساسا إقناع المخاطب بقول ما بالبناء على ما يُعلم (بضم الياء وفتح اللام) أو يُفترض أن المخاطب يسلم به من أقوال غيره « [62]
- إن الحجاجية إعادة صياغة للمبدأ العقلاني الذي تتأسس عليه المعرفة والبحث عن البنيات الممكنة المشكلة لمقولات العقلانية المعاصرة من خلال البعد اللغوي فيها « [63]
- الحجاجية بحسب « بيرلمان (Chaim Perelmen). «[64] هي عنف خطابي ينزع دائما إلى تعديل حالة الأشياء الموجودة من قبل «[65]
- « إن الحجاجية هي مساوقة العقلاني مع العلمي ، بل هي إعمال العقل فيما هو فعل أو يؤول إليه ، فالحجاجية لا تتشكل من سلسلة من القضايا ، وإنما هي سلسلة من الأفعال الكلامية « [66]
- الحجاج سلسلة من الإثباتات اللغوية التي تقوم بتوجيه الفعل نحو إنجاز أغراض مرادة تتجلى في بُنى لفظية .
- وعرف بيرلمان الحجاج كذلك بقوله : « موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة التسليم « [67]

وهذا جدول مقارنة بين الاستدلال البرهاني والاستدلال الحجاجي، نمطين في الاستدلال لهما حضور كبير في البحث العلمي اليوم ، وهما بالطبع منطقان كبيران «المنطق الصوري والمنطق الحجاجي» . ويظهر في هذه المقارنة اتساع الحجاج وقدرته على الاحتواء والتعامل مع الغامض والنسبي .

---

61 « طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص

62 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان، ص393.

63 « عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص67.

64 أكاديمي بلجيكي (1912-1984)، أستاذ بجامعة بروكسل، مؤسس ما يعرف بـ البلاغة الجديدة، من مؤلفاته: «البلاغة والفلسفة»(1952)، و»حقل الحجاج» (1969)، و»الإمبراطورية البلاغية»1977

65 عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص89.

66 عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص90.

67 عبد الله صوله ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، (دار الفارابي، 2007)، ص27.

الاستدلال البرهاني	الاستدلال الحجاجي
الانتقال بين العبارات دون الالتفات إلى محتواها أو مقدماتها اليقينية . أي هي مجموعة محددة من العبارات البسيطة المقبولة على نحو ضروري[68]	المحتوى يلعب دورا حاسما في الانتقال بين الوحدات المكونة من العملية الحجاجية .
عادة يتم استبدال مكونات العملية الاستدلالية البرهانية باصطلاحات رمزية تحفظ شروط الوضوح والدقة والتواطؤ.	محتوى الحجاج شديد التعقيد بحجم تعقد الحياة الإنسانية
هناك لزوم في الانتقال من المقدمات إلى النتيجة	يأخذ بعين الاعتبار الصورة والمضمون فكلاهما يؤثران .
الطابع الموضوعي المسيطر	ليس هناك لزوم ولا ضرورة في الانتقال من المقدمات إلى النتيجة
الاكتفاء بدليل واحد لتكون النتيجة مثبتة أو منفية ، أي الاكتفاء بتأليف صورة قياسية واحدة لتُستلزم منها النتيجة.	إن وظيفة الحجة أن تقدم لنا في العملية الحجاجية مستندا أو مرتكزا أو مرجحا يجيز توقع نتيجة معينة .
البرهان يحتمل الاستقلال عن المجال الانساني ليشكل بنية لا شخصية قائمة بذاتها ومكتفية بمنطقها الخاص ، سواء تحقق إدراكها من قبل الانسان أو لم يتحقق .	الطابع الذاتي المسيطر
الدليل البرهاني ما هو إلا حصيلة إفراغ مادة معرفية (رياضية) في (قالب صوري) لا يُتصور الاعتراض على قضاياه التي تُنسج على نسقه	
يحتاج الحجاج عادة إلى التساند الحجاجي[69] وذلك عن طريق تعدد الحجج وعدم الاكتفاء بدليل واحد للوصول إلى النتيجة ، وهذا بالطبع يزيد من درجة الاحتمالية ومقبوليتها والميل إليها .	كل عملية حجاجية هي بلا أدنى ريب فاعلية موجهة ، إنها فاعلية خطابية تقتضي مشاركة فاعلة من طرف المخاطبين ، أو ربما أيضا قدرا من التواطؤ .[70]
	الاستناد على الموضع بشكل مركزي وضروري لأنها تقوم في الحجاج مقام القوانين والقواعد العقلية الضرورية التي يقوم عليها الاستدلال البرهاني[71]
	الحجاج مفتوح دائما على الاعتراض والإيراد ويقبل باستمرار الدحض والتفنيد والمنازعة ، فكل عملية حجاجية يمكن مواجهتها بعملية حجاجية معارضة تتأسس على مواضع معاندة تعكس مرجعيات قيمية مغايرة .

68 الحجاج، ج2، ص06 ، بحث رشيد الراضي نقلا عن paul grıce logıque et conversatıon communication nocommunicatıon no30 p57 0

69 حجاج،ج،2 ص363

70 يقول بيرلمان : " فالخطيب البارع الذي يكون له بالغ الأثر في الآخرين ، هو من يتفاعل مع الروح التي تسري في المتخاطبين ، وليس ذاك المنفعل الذي لا يُصغي إلا إلى ما يعتمل في خويصة نفسه ""حجاج ج2، ص 364

71 الموضع :هو مجموعة من القيم والمعايير والعلاقات المتميزة بطبيعتها الظنية و اللايقينية ، ولكنها مع ذلك تتمتع بشهرة ومقبولية لدى عامة الناس نتيجة توافقها مع الحس القويم المشترك _ حجاج، ج٢ ص ٣٦١ ، وتعرفها مدرسة بور رويال بكونها :" بعض الأصول العامة التي يمكن أن تُرد إليها كل الأدلة التي نستخدمها في فحصنا لمختلف المواد والمحتويات " حمو النقاري ، في منطق بوريال ، (دار الكتاب الجديد ، 2013)، ص55.

يقبل الحجاج الخطابي أن يرد في «صورة ضمنية»وعدم التصريح بمكوناته ، فالإضمار فيه عادة مطروقة و مقصودة بفضل القرائن[72] « المقامية «[73]والسياقية «[74] فقد نستغني عن سرد الوقائع أو قد نضمر الحجة أو الدليل أو النتيجة .	
يقوم الحجاج على " مبدأ التعاون التخاطبي " الذي يقتضي أن كل واحد من المخاطبين يتعاون مع المخاطب الآخر بالوجه الذي يجعل المخاطبة تصل إلى غايتها المرسومة .	

ومن خلال هذه المقارنة يتجلى لنا الفرق العميق بين المنطق الصوري والمنطق الحجاجي وفضيلة الحجاجي .

فإننا نجد في (المنطق الحجاجي /الاستدلال الحجاجي) سببا لأهميته وقدرته فهو قادر على استيعاب الأحوال المستعصية على الضبط الرياضي والصوري أو التجريبي والتي يصعب شكلنتها في صورة منطقية غير احتمالية ، ولو أننا أمعنا النظر جيدا في تلك العلاقة التي كانها هذا التداخل في الأحوال المستعصية وضرورة أن يوجد مقابلها أداة منهجية واصفة ومحللة ومركبة لعرفنا قيمة الحجاج والفضيلة في عدم القدرة على صوغه وفق نموذج علمي صارم ، ولعلمنا أن خلو المنطق الصوري من القيمة يعرض النتائج إلى أن تكون نتائج تصلح للتصورات الآلية للوجود وليس للتصور الإنساني الذي هو بطبيعته كائن المحمولات القيمية .

ويتوسل الحجاج ليظهر نفسه ويكون فاعلا بأداة وأسلوب ، أما أداة الحجاج فهي « اللغة « وأما شكل الحجاج فهو « الحوار « ولا ينفي هذا التداخل الشديد بين اللغة والحوار .

اللغة والحقيقة والتعرُّف (البيان والحجاج) :

اشتهر قول أرسطو «الإنسان حيوان ناطق « شهرة بعيدة جعلت من هذا الوصف وصفا لا تقوم الإنسانية إلا به ، وهذا رأي ارتآه أرسطو ورضيه لماّ فهم أن حدث النطق قولا وتفكرا هو فعل من الأفعال الموقوفة على الإنسان ، ولكنّ هذا الوصف يخل بذلك التعقيد الذي يتناهب النفس الإنسانية ويتجاوز دلالة النطق وصفا لها إلى أوصاف أعمق غورا في النفس الإنسانية وأكثر التباسا معها فمنها الوصف الأخلاقي فـ» الإنسان كائن أخلاقي «[75] كما قرر الدكتور طه عبد الرحمن في مشروعه الفكري ،وهذا نظر أكثر تحسسا لمعاني الإنسانية من النظر الأرسطي ، ولو أنا أردنا أن نقف في موقف وسط بين الرجلين لقلنا « الإنسان كائن مُبين «[76] ذلك أن فعل الإبانة يستبطن في داخله فاعليات كثيرة منها التعبير والتفكير وتوخي الإفادة (والإفادة فعل أخلاقي) ويصبح بذلك مفهوم « الإبانــة « متجمهرا حول معاني تتجاوز التواصل المجرد إلى التواصل

72 - علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير البقرة – بحث في الأشكال الاستراتيجية ، (دار الكتاب الجديد ، بنغازي – ليبيا، 2012)، ص90

73 الإطار العام للقول الذي يشمل زمان القول ومقامه وهوية الباثّ وهوية المتقبل وعلاقتهما بعضهما ببعض ، وكل ما يعرفه أحدهما عن الآخر

74 ما يحيط بالقول المقصود من أقوال تسبقه وتلحقه تساهم مفسراتها في تحديد معناه .

75 يؤسس الفيلسوف طه عبد الرحمن في مشروعه الإصلاحي للإنسان الأخلاقي وليس الإنسان العاقل فقط وهو يرى ذلك بسبب أن الأخلاق صفات ضرورية يختل بفقدها نظام الحياة وأن القيمة الأخلاقية أسبق على غيرها من القيم وأن ماهية الإنسان تحددها الأخلاق وليس العقل وأن الأخلاق مستمدة من الدين المنزل وأن الإنسان بموجب أخلاقيته لا يستطيع أن يتجرد كليا من حال التدين ولو سعى إلى ذلك وأن الأخلاق مراتب مختلفة يتقلب فيها الفرد وأن الهمة الأخلاقية للفرد أقوى من الأمر الواقع وأن العقل المجرد الذي اختار الانفصال عن العمل الديني لا تلبث أفعاله أن تنقلب إلى نقيض مقصودها . راجع " طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ص 15-16 وللتوسع في مسألة "الأخلاق " راجع سؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن.

76 ليست الإبانة فقط مقصورة على التعبير الدقيق بل إظهار الجوانب القيمية المختفية داخل القول ، فتصبح بذلك الإبانة نوع من المسؤولية الأخلاقية التي يمارسها المتكلم في توجهه للآخر .

القصدي ثم يتجاوز التواصل القصدي إلى التواصل النُصحي ويتدرج في هذه الحالات حتى يبلغ أن (يطلب للإنسانية ما يطلب لنفسه من الخير) وهذه المرحلة من التواصل والإبانة تشكل ذروة البناء الحضاري ومعقد الوصف الإنساني في التضحية والإيثار للآخر على الوجه الصحيح . وهذه هي المنفعة المتعدية عند الدكتور طه عبد الرحمن .

فإن كانت النطقية وصفا للإنسان فلن تعدو أن تكون وصفا تزاحمه أوصاف كثيرة تعلوه في الرتبة وتتبدى الإنسانية منها بشكل أدق .

قال جيورج هانز غادامير " H. G. Gadamer « الحقيقة لا تحدث من وراء ظهر اللغة ، بل من وراء ظهر أولئك الذين يطورون بأنفسهم فكرة أنهم يفهمون العالم ، أو لا يفهمونه أبدا ، وتَحْدُثُ أيضا في اللغة « و هذا الكلام قاله « غادامير « في معرض رده على هابرماس الذي يدافع عن العلوم التجريبية ضد اختزالها إلى لعبة لغوية .[77]

ويقرر إدغار موران أن « اللغة آلة تشتغل بشكل مرتبط بالآلية المنطقية وبالآلية التماثلية التابعة بدورها للقواعد الأساسية (للاحتساب/التفكير) الخاص بالآلية الدماغية للإنسان ، إن المنطق واللسانيات آلتان في واحدة ، يندمج كل منهما في الآخر بشكل حميمي وعميق «[78]

يرى طه عبد الرحمن أن اللغة : « هي الواسطة التي تجمع بين الخارج والداخل والذهن ، وتورث الشيء الخارجي والشيء الذهني صفتهما البنائية ، فلما كانت اللغة نسقا من الرموز والصور الدالة ، فكل شيء نزلت عليه هذه الصور والرموز يصير متشكلا على وفقها ، والبنائية إنما هي هذا التشكل بعينه ، فإذا نزلت على الموجود الخارجي أخرجته من كثافته ، وإذا نزلت على الموجود الذهني أخرجته من لطافته ، فألبستهما معا لباس الدلالات المرموزة ، وعلى هذا فلا شيء تتوسط فيه اللغة إلا لحقته أسباب البناء كائنا ما كان «[79]

و يقول عبد السلام المسدي متحدثا عن اللغة : « فهي أولا ذاكرة الإنسان الجماعية ، يأتمنها الناس على تاريخهم فتستجيب حاملة سجل حضارة الأمم حتى لكأن صيرورة التاريخ البشري وقْفٌ على اللغة « [80]

ويقول أيضا : « ومن شدة التفاف القوى العقلية بالأداة اللغوية تبين اليوم أن رقّى الجهاز العصبي لدى الإنسان لا يدل عليه شيء كدلالة اللغة فهي عنوان سمو القدرة العقلية وهي الدليل على ترابط المدارك الذهنية ، ويذهب البعض إلى اعتبار أن ممارسة الكائن البشري للعملية اللغوية فيها من التعقد التركيبي والوظيفي بين مختلف المقومات العضوية والذهنية والعصبية والنفسية ما قد لا يماثله إلا تعقد نظام الكواكب وهي تتحرك في فضائها الفلكي «[81]

و في حديث محمود شاكر[82] عن أثر اللغة في تصويب المعارف وتحصيلها على وجهها قال واصفا اللغة: « فمن طريق اللغة التي نشأ فيها صغيرا – أي الإنسان - فإنه يسدده أو يتهدده الإحاطة بأسرار اللغة وأساليبها الظاهرة والباطنة ، وعجائب تصاريفها التي تجمعت وتشابكت على مرّ القرون البعيدة ، فصارت ألفاظها وتراكيبها الموروثة والمُستحدثة تحمل من كل زمان مضى وكل جيل سابق نفحة من نفحات البيان الإنساني بخصائصه المعقدة والمكتمة ، أو خصائصه السمحة والمستعلنة ، وبين

---

77 " عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص 47.

78 المنهج، ج4 ص395

79 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان، ص65.

80 المسدي ، اللسانيات، (الدار التونسية للنشر ، 1986)، ص88.

81 المسدي، اللسانيات ، ص89.

82 مفكر و أديب ومصلح مصري أسس لنهج في البحث العلمي أو أحكمه أسماه " التذوق " يقوم منهجه على النظر والتغلغل في البنى اللغوية بطريقة دقيقة جدا يتحسس فيها كل لفظ وكل تركيب وكل تعبير ، ومنهجه من التعقيد والصعوبة بمكان لأنه يرى أن العلوم مجاز واحد متداخلة ، لا نستطيع أن ننظر فيها نظرا جزئيا لا يأخذ بعين الاعتبار بناءاتها المتداخلة والمتخارجة كذلك .وفي كتبه وأبحاثه نراه متميزا في التحليل والنقد وتصحيح العلاقات بين النصوص وبين العلوم كذلك ، ونجد المنهج الحجاجي ماثلا بقوة و وضوح . وكُتبت عنه رسائل جامعية كثيرة .

تمام الإحاطة باللغة وقصور الإحاطة بها مزالق تزل عليها الأقدام ومخاطر يُخشى معها أن تنقلب وجوه المعاني مشوهة الخلقة مستنكرة المرآة ، بقدر بعدها عن الأسرار الخفية المستكنة في هذه الألفاظ والتراكيب «[83]

فنجدها – اللغة - تحاول كقدرة حاضرة إيجاد المنافذ التعبيرية إلى عمق الحقيقة ، فبواسطة اللغة نفسها كإمكانية مفتوحة يمكن ذلك ، لأن اللغة لا حدود لها ، فهي تُوَلِّد نفسها بنفسها لذلك نجد البلاغة تقوم بهذا الدور حيث تطور ملكةً طبيعية ، وتدفع بالبعد الإنساني في الحقيقة إلى الظهور بكل تناقضاته واختلافاته كآراء وقناعات ، فالإنسان قناعة .

إن عودة (البلاغة[84] = اللغة)[85] إلى البحث المعاصر إنما هو مشروع لإعادة صياغة العقل صياغة تسمح بالتعرف على إمكاناته الكامنة والتي ترزح بشكل أو بآخر تحت وطأة التعسف العلمي الذي يدعي ويقطع باكتمال القواعد المنتجة للمعرفة ، و ما من سبيل للبحث عن المعرفة بغيرها ، وقد تم إجراء هذه القواعد على اللغة كذلك ، مما أضعف قدرتها وطاقتها الإبداعية ، وأدى هذا إلى تراجع نشاط التفكير والإنتاج فيها ، وهذا لأن هذه القواعد التي وضعها العلم أنشأت مناطق محدودة للوعي وجعلت ما يُفكر فيه بدون الاستعانة بهذه القواعد خارج العقل .

ويرى بول ريكور أنه « يمكن إلحاق النظام الإنساني ككل بالحقل البلاغي ، بما أن ما يُسمى اللغة العادية ليس سوى اشتغال للغات الطبيعية في أوضاع تخاطبية عادية ، وهكذا تغدو البلاغة فنا للخطاب الإنساني الأكثر إنسانية « [86]

فلقد كان غياب سلطة اللغة في الفكر الغربي –كذلك - من مصادره المنطقية يعني غياب الحوار في الوسط الفكري العقلاني مما أدى إلى ضمور البعد الإنساني وانسحابه إلى دوائر لا تشكل أهمية معرفية في واقع الحياة اليومية البديهية والضرورية ، ثم كانت العودة للاهتمام بدراسة اللغة وهيمنة الخطاب اللغوي داخل الأنساق المعرفية في العلوم الاجتماعية الإنسانية وتعدُّدُ الأبحاث والنظريات والدراسات حول هذا الخطاب بوصفه خطابا طبيعيا بمثابة استعادة للإنسان وحقيقته التي كانها .

فاللغة هي الوحيدة التي تستطيع تحمل سطوة الحقيقة وتحركها ، إنها الفضاء الذي تنصهر فيه الآفاق المعرفية والعملية ففي الحقيقة تتقاطع المباحث الاجتماعية والنفسية والتاريخية والوجودية ، ومن اللغة تتبدى الأبعاد الإنسانية بشكل ثابت يسمح بالمقارنة والنظر كما يسمح بإيجاد الوسط القادر على نقل المعنى من النظر إلى العمل .

الحواريـــــة

الحوار هو الخطاب الذي يتوخى تجاوب متلق معين ، ويأخذ رده بعين الاعتبار من أجل تكوين موقف في نقطة غير معينة سلفا بين المتحاورين ، قريبة من هذا الطرف أو ذاك ، أو في منتصف الطريق بينهما هو الحوار المتكامل الذي وضعه طه عبد الرحمن في المرتب الأولى ناعتا إياه بـ» التحاور « ويصفه بأنه : « يتسع لصور وأساليب استدلالية تلتزم مبدأ المراتب وتجنح إلى التناقض ، ندرجها ضمن ما نسميه ب»طرق التحاج» ومنها أن يثبت المتحاور قولا من أقاويله بدليل ثم يعود إليه ليثبته بدليل أقوى ، وأن يثبت قوله بدليل ثم ينتقل لإثبات نقيضه بدليل آخر ، أو أن يثبت قولا بدليل ، ويثبن نقيضه بعين الدليل « [87]

و هو - الحوار - ممارسة عقلية استدلالية منظمة تحفظ لنا الإنسانية في داخلنا وإلا أصبحنا وحوشا لا يحكمها إلا

---

83 محمود محمد شاكر، المتنبي، (مطبعة المدني ، 1987)، ص 27.

84 " البلاغة ضرورة لا عنى عنها ، لذلك فإننا لا نجتث بلاغة إلا لإنشاء بلاغة أخرى ، وهذا ما يشهد به التاريخ فبعد أن سقطت في نسيان يطبعه الاحتقار إلى نهاية القرن التاسع عشر ، عادت إلى قوتها خلال الستينات من القرن العشرين ،فانتبهنا إلى أننا نستعين بها في الإشهار والسياسة والتعليم " محمد العمري، الحجاج مبحث بلاغي، بحث منشور في كتاب الحجاج ص119.

85 لا يوجد حجاج غير بلاغي ، وبالطبع لا توجد بلاغة بدون لغة ، والحجاج يتوسل بالتعبير الذي هو لغة وقوة اللغة التي هي بلاغة للإقناع. والبلاغة واللغة لا يمكن الفصل بينهما إلا على طريقة تجزيء الذات من أجل النظر ، فكل بلاغة لغة

86 بول ريكور ، "البلاغة والشعرية والهرمينوطيقيا" ت: مصطفى النحال ، مجلة فكر ونقد عدد 16، فبراير ، الرباط 1999 ، ص109.

87 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (المركز الثقافي العربي، 2010)، ص51.

القوة والهيمنة والبطش ، وهذه أمور تُخلُّ باستخلاف الإنسان ووجوده على الأرض .

ويصفه كذلك طه عبد الرحمن بأنه : « نص استدلالي مبناه على «البلاغ « الذي يتناوب عليه الجانبان ، نصٌّ يؤول إلى الانفصال عنهما بمحو « العارض « منهما لآثار « المعروض عليه « لينتهي بدوره إلى الامحاء منه»[88]

وهو كذلك « ترتيب للأقوال يتواصل به المتحاوران ، له مبدأ ومنطلق ، وله مسار أو مسلك منضبطان بجملة من الضوابط يُقيِّد المتحاورين معا ، وله مآل ونهاية يُعينان المُحِقَّ والمُبْطِل من المتحاورين «[89]

« فلا يصير الكلام ... حوارا حقيقيا حتى يكون لأحد المتحاورين رأيٌّ خاص يُفتح به الكلام ، فيطالبه الآخر بإقامة الدليل عليه ، ويجوز أن يكون لكل واحد منهما رأي يخصه يطالبه الآخر بإثباته ، فيدور الحوار بينهما في صورة جملة مرتبة من الدعاوي فالاعتراضات فالإثباتات ، ثم الاعتراضات متى لزم الأمر حتى ينتهي الحوار إما بالعجز عن الإثبات أو بالعجز عن مزيد الاعتراض «[90]

و ذاك الإنسان الذي أسجد الله تعالى له الملائكة لا يُعقل ألا يكون قادرا على التحاور[91] والنظر ثم الاصغاء وإعادة النظر في الأشياء و المنطوقات ، فنلمح من أدلة النقل ما يوجهنا لأن ننظر إلى علاقة (الخلق = التعليم= الإسجاد = الميزان) .

قال تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)»[92].

وفي العلاقة المترتبة والمنتظمة في قوله تعالى :

« الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)»[93]

وكانت الدعوة الصريحة إلى التحاور وتبادل الخبرات الدلالية للمدركات والقيم والأحكام بين المتقابلين في قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ «[94]وقد أسس من خلال هذه الآية الكريمة الدكتور طه عبد الرحمن مبدأ في التحاور قائما على « التعارف «[95] متجاوزا بذلك السائد من النظريات الحديثة حول مفهوم « الاعتراف «[96]

---

88 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص42.

89 حمو النقاري ، منطق تدبير الاختلاف ، ص 49.

90 طه عبد الرحمن ، الحق الاسلامي في الاختلاف الفكري ، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2009)، ص298.

91 قال الشاعر هولدرلين : " نحن حوار " عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة ، ص26.

92 البقرة 2/30-34.

93 الرحمن 55/1-9.

94 الحجرات 49/13.

95 للتوسع في هذا المفهوم راجع كتاب " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام " لطه عبد الرحمن ، وكتاب منطق تدبير الاختلاف لحمو النقاري .

96 حول هذا المفهوم راجع زواوي بغورة، مفهوم الاعتراف، (دار الطليعة 2013).

ومن فعالية الحوار الملحة في طلبه، تلك القدرة على تغطية كل مجال يفلت من الصرامة البرهانية المعتمدة على البداهة (أي مجال القيم) .[97]

و» الرياضيون والمناطقة –كذلك - لا يخرجون عن فعل المحاججة بحواريته ونسبيته فهم يقومون بالمحاججة لتبرير إبداعهم لمفاهيم وأنساق رمزية جديدة وللبرهنة والدفاع عن نظرية ما «.[98]

وينقل حمو النقاري[99] عن الفارابي اعتناءه بالحوار وإلحاحه فيه لكل ناظر ، وأن الناظر مفتقر إليه : « وسبب ذلك طبيعة الحال العلمية لكل ناظر من النُّظار ؛ إذا تكون هذه الحال متميزة بالاختلاط الحاصل فيها بين معارف صادقة وأخرى باطلة . فلا ناظر كيفما كانت رتبته في العلم إلا وله « آراء ... إما كلها وإما كثير منها صادق مخلوط بكذب لم يشعر به ، إلا وهو غير قادر بمفرده على التخلص من البطلان الذي قد يشوب آراءه لأنه ليس في قوة كل واحد على انفراده أن يفي بتخليص الصدق من المخلوط بالكذب وتمييز الكذب منه واطراحه « [100]

ونجد أن المنطق الحجاجي الغربي المعاصر يثمن ويقدر الحالة الحجاجية بمقاماتها الحوارية التي يُبرز من خلالها الحوار التواصلي الذي يفضي إلى الحقيقة أو يقترب منها ، ومن المقامات التي يتوسل بها كثيرا « المراجعة « [101]و» المناظرة «[102] وهما صنفان من التحاور يتبديان بشكل جلي في الأسس التناظرية الإسلامية في علمي المناظرة[103] وآداب البحث[104].

وللحوار سبيل وقواعد تحكمه وتنظم العلاقة بين أطرافه ، ومتى أخل أحد الطرفين بها أفضى ذلك إلا اختلال المطلب أو نقضه من أصله ، فالأصل في الحوار أن يُطلب لتحصيل المنفعة[105] للطرفين .وهو مؤسس على مبدأ التكافؤ .

---

97 وبما أن الحوار هو ممارسة بلاغية بامتياز وبالذروة من الأسلوب والإقناع ، فنستطيع أن نقول مع عمارة ناصر حول البلاغة قاصدين كذلك الحوار " تبسط البلاغة امبراطوريتها على العوالم التي تفتحها اللغة من خلال وظائف الإقناع والفهم والإيجاد والتربية " عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة ، ص36.

98 عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، ص80-81 نقلا عن "oleronpierre" في كتابه "largumentatıon".

99 عالم معاصر من علماء المنطق المغاربة ، وله كتب فيها جدة في الطرح مبنية على التنويع المنطقي والتوسع في درسه .

100 المنطق في الثقافة الاسلامية ص 23

101 منطق المراجعة : منطق إدارة الكلام التي يراجع فيها مُديرا الكلام باعتبارهما من أهل الاختصاص ويفحصا ويختبرا ويمتحنا بوجه متعاون ومتكافل دعوى من الدعاوي .

102 منطق المناظرة : منطق إدارة الكلام التي يقع فيها الفحص الجاد لما يشهد للدعوى والمذهب ولما يشهد عليهما ، أي لما يثبتهما ولما يبطلهما

103 لقد تشبع الفكر الإسلامي في كل ميادينه بأدوات الاستدلال المنطقي وأساليب المناظرة ، ومارسهما بدقة فائقة ومهارة نادرة . كما قرر طه عبد الرحمن، كتابه المنطق واللغة و كتابه اصول الحوار.

104 وتحدث باشا العيادي في كتابه "فن المناظرة في الأدب العربي – دراسة أسلوبية تداولية " عن مرحلتين للمناظرة التي حضرت في التراث الإسلامي قائلا : " وهكذا نتبين أن التراث الديني استخدم مصطلح " المناظرة" كثيرا وذلك في مستويين أساسيين : أما الأول فيتعلق برصد فن المناظرة في النص الديني واستقراء أوجه حضورها وتحديد أشكالها وأسلوب الحوار فيها وطريقة الجدل . وفي هذا المستوى نجد في تلك النصوص ومن أهمها القرآن مصطلحات عديدة مرادفة لها منها الحوار والحوير والمحاورة والمراجعة والجدل والمجادلة . وفي مرحلة ثانية قام الفقهاء والأصوليون بإنتاج مناظرات في موضوعات الفقه والأصول واستقر المصطلح معهم . ص40 ط1 ،2013 دار كنوز المعرفة ، الاردن عمان . وقد أفاض حمو النقاري في رسالته القيمة " منطق الكلام " في الإبانة عن منطق المناظرة في الفصل الثاني 341 منها وقومها تقويما أحاط بأبعادها الداخلية والخارجية والتأصيلية . وقد عدّ طه عبد الرحمن " المناظرة " ممارسة قرآنية بامتياز وأنها لذلك تتغلغل في كل المباحث بعد ذلك بسبب الأصلية القرآنية ، في الحوار وتجديد علم الكلام ص21 ص22

105 يقول الطوفي " أما تعلم علم الجدل لإظهار الحق فهو فرض كفاية لأن فيه مصلحة عامة ، هي المقصود منه لا غير ، وكل ما كان كذلك فهو فرض كفاية ، أما أن فيه مصلحة فلأن فيه إظهار الحق للخلق ، وإظهار الحق للخلق مصلحة عامة ، لأنه إذا ظهر اعتقدوه وعملوا به ، وإذا لم يظهر تعذر عليهم ذلك ، فكانوا كالمرضى بغير طبيب " علم الجدل في علم الجدل ت: فرانز شتاينر، ص4 .

قواعد الحوار العشر :[106]

الأولى	الحق في الإدعاء والحق في الاعتراض
الثانية	تكلف المدعي حفظ المدَّعَى إن هو طولب به
الثالثة	تكليف المعترض أن يكون اعتراضه بالادعاء فقط
الرابعة	أن يكون الحفظ مناسبا في تدليله
الخامسة	إلزام المخاطب بما طواه وأضمره من المقدمات
السادسة	تبين شرط حفظ المسموع والمعقول من وجهة مبدئه
السابعة	تبين شرط حفظ المسموع والمعقول من جهة صورته
الثامنة	إيجاب إظهار المضمر الذي تتوقف عليه صحة الدليل
التاسعة	تبين متى ينقطع المدعي ، ومتى يُلزم المعترض
العاشرة	التبيين والتأويل

وقد أنتجت العلاقة بين النظر والحرية في الفكر الغربي الحجاجي المعاصرثلاث حقائق :

الأولى : لكل الحق في أن يدعي ما يرى ، وعليه واجب التدليل عليه على ما ادعى .

الثانية : لكل الحق في الانتماء إلى جماعة فكرية ما ، وعليه واجب بناء انتمائه على قرار يتخذه لا إكراه فيه ولا خنوع ولا خضوع .

الثالثة : لكل الحق في الإعراض عن الانتماء إلى جماعة فكرية ما ، وعليه واجب بناء امتناعه عن الانتماء على الاعتراض أو المعارضة .[107]

ولن يتحقق الحوار كذلك على وجهه الصحيح ما لم يتلبس بآداب[108] و جملة من القيم[109] التي توجه الحوار وتدبره حقَّ تدبره [110]:

الأولى	التكافؤ في حظوظ المتحاورين المختلفين في إنجاز أفعالهم اللغوية التي تمكنهما من التواصل بينهما .
الثانية	التكافؤ في أفعال التأويل والادعاء والاستشكال والاعتراض بين التحاورين
الثالثة	يجب أن تكون القضايا محل الحوار قابل للخلاف ابتداء
الرابعة	لا نتحاور إلا فيما كان الكشف عنه ممكنا
الخامسة	لا توظيف إلا للاستدلالات الصحيحة والسالمة
السادسة	لا يُستدل إلا بأقوى الادلة

108 ينعتها نجم الدين الطوفي الحنبلي ب" الآداب المشتركة " علم الجذل في علم الجدل ت: فراينز شتاينر ، ص16 ، ويسميها طه عبد الرحمن ب" قواعد التهذيب " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام .

109 ويجمل لنا الإمام الجويني بنص مجموعة القيم الأساسية الفاعلة في تنظيم نظر الفرد ومبادرته الحوارية قائلا : " إنما مدار الأمر على العدل في النظر وعلى التثبت وترك العجلة والتحرز عن الإعجاب بالخاطر والعمل على ما سبق إلى القلب وتستحقه الطبائع ، ومع ذلك كله فالتوكل على الله تعالى والرغبة إليه في التوفيق والعصمة ، وليتق الله تعالى من أن يطلق جوابا من غير تثبت لاستحيائه من التثبت والتوقف ثم يتعقبه فيجده خطأ أن يمر عليه ويحتج له ويلجَّ في كراهة للإقرار بالخطأ ، وليعلم أن رجوعه إلى الحق أولى من التمادي في الباطل " الكافية في الجدل ، ص 322 .

110 حمو النقاري ، منطق تدبير الاختلاف من خلال منطق طه عبد الرحمن ، ص ٤٣ -٦٣، طه عبد الرحمن ، أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص74-75.

السابعة	لا يُلزم الآخر إلا بما يكون لازما
الثامنة	الواجب الإذعان للحق والانقياد وعدم المكابرة
التاسعة	أن لا يتكلم المحاور إلا فيما يعلم
العاشرة	لا يُخبر المخاطب إلا بما يهمه
الحادي عشرة	لا تخبر المخاطب بما يعلمه
الثانية عشرة	لا إبهام في الكلام يُعوص المعنى المقصود
الثالثة عشرة	تجنب استصغار المخالف والاستهزاء به
الرابعة عشرة	تجنب المباهاة والمحك واللجاج والرياء
الخامسة عشرة	الواجب أن يكون الهدف من التعاون في تدبير الحوار الاختلافي إما الإرشاد أو التنبيه وإما دفع الخطأ وإما بيان الحق والصواب

ونجد أن الاهتمام بهذه الشروط أو القيم السابقة في حواراتنا يفضي إلى نتيجة ذات ثلاث شعب :

الأولى : إقرار حق الآخر في إبداء رأيه

الثانية : إقرار الحق في المطالبة بالدليل على ما يُبدى من رأي .

الثالثة : إقرار لحق الاعتراض .

ويجب على المحاور المخالف قبل أن يبادر في الخوض في أي حوار أن يمتلك مجموعة من الصفات التي تتحقق في دليله الذي سيسوقه ، ومن هذه الصفات [111]:

الأولى	إفادة الدليل بالانطلاق من وقائع ومعطيات حقة ليست باطلة
الثانية	إفادة باستقلال المقدمة عن النتيجة
الثالثة	أن يكون التدليل ومقدمته مناسبا ، أي بالنسبة لمحل النزاع (المطلوب)
الرابعة	وجود ملائمة من خلال جواز تعدية درجة مقبولية المقدمة النتيجة
الخامسة	وجه أن تكون المقدمة أعرف من النتيجة
السادسة	وجه بأن تكون له وجهة منضبطة وتمنعه من النشر
السابعة	وجه المناخ المفتوح (الإكثار من الصواب)

خلاصة النتائج

الأولى : إن الاعتناء بالحجاج وتفعيله وتوسيعه يخدم المنهج العلمي في إبقائه منفتحا وشاملا ومتمكنا في التعامل مع المتحرك والنسبي واللايقيني والاحتمالي والممكن والمتغير .

الثانية : متى استبعدنا المنطق الحجاجي ظهر لنا عدم قدرة النموذج المنهجي على متابعة المتغير والاحتمالي مما يدفعنا إلى استنتاجات لا تمس المتغير بقدر ما تمس الثابت الذي ثبتنا لحظته للبحث الصارم ، أي الانغلاق المنطقي والتجريد المخل وغير المستوفي .

الثالثة : إن حرمان العقل من النموذج الاحتمالي معناه تشويه النتائج التي كان من الممكن إنتاجها من النظر

111 حمو النقاري، المنطق في الثقافة الإسلامية، ص 72-73.

الاحتمالي في الفكر والممارسة .

الرابعة : استبعاد المنطق الحجاجي يعني اقتطاع واستبعاد الجزء الأكبر من حياة الإنسان من دائرة الاستدلال والتقنين ، وهذا فعل لا دليل عليه إلا التحكم والمصادرة .

الخامسة : تربية الأفراد على الحوار والاعتراف بالآخر وقبول الحوار الاختلافي يقيم في داخلهم المواطنة والشعور بالانتماء ، ولا يكون ذلك إلا من خلال التنشئة على القيم والمبادئ والآداب الحجاجية الحوارية التي يمارسها الفرد للتوصل إلى الحق أثناء طلبه .

السادسة : « إن عدم الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى ترسيخ قيم المواطنة عن طريق مهارات الحجاج وآدابه يمكن أن ينشأ عنه تفشي النزعة الانطوائية لدى الأفراد ، وتنامي الخطابات الدغمائية ، وانتشار المذاهب الإقصائية التي تضيق واسعا فتختزل المخالف للرأي في مقولات تنأى عن كينونة الإنسان «[112]

المراجع

ناصر، عمارة، كتاب البلاغة والفلسفة، (دار الاختلاف، 2009).

الحجاج مفاهيمه ومجالاته، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، (دار الروافد الثقافية، 2013).

عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006).

العيادي، باشا، فن المناظرة في الأدب، (عمان: دار كنوز المعرفة، 2013).

المسدي، عبد السلام، اللسانيات، (الدار التونسية، 1986).

شاكر، محمود، المتنبي، (مطبعة المدني، 1987).

صوله، عبد الله ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،(بيروت: الفارابي، 2007).

عبد الرحمن، طه، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2009).

اليوسف، سامي، القيمة والمعيار، (دار كنعان، 2000).

عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (المركز الثقافي العربي، 2010).

النقاري، حمو، منطق تدبير الاختلاف، (بيروت: الشبكة العربية للنشر،2014).

عبد الرحمن، طه، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2009).

التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، (بيروت: مكتبة الحياة)(III-Iم)

حمو، النقاري ، في منطق بوريال ، (دار الكتاب الجديد، 2013).

حمو، النقاري، المنطق في الثقافة الإسلامية ، (دار الكتاب الجديد، 2013).

الشبعان، علي، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة – بحث في الأشكال الإستراتيجية ، (بنغازي، 2010)

[112] توبي لحسن، الحجاج والمواطنة – من المعرفة الأكاديمية إلى ترسيخ القيم الديمقراطية، (دار رؤية، 2014) ، ص199.

موران، إدغار"الأفكار "، المنهج، أفريقيا الشرق، ت:يوسف تيبس،2013. (I-IVم)

موران، إدغار، « معرفة المعرفة «، المنهج، أفريقيا الشرق ، ت:يوسف تيبس،2013. (I-IVم)

حاج حمد، محمد أبو القاسم، العالمية الإسلامية الثانية - جدلية الغيب والإنسان والطبيعة ، تقديم ومراجعة محمد العاني ، (دار الساقي، 2012).

ماركوز، هربارت، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة : جورج طرابيشي(بيروت: دار الآداب).

عبد الرحمن، طه، روح الحداثة ،(بيروت: المركز الثقافي العربي، 2009).

جديدي، محمد، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، (رسالة دكتوراة، جامعة منتوري، الجزائر، 2006).

شاكر، محمود، أباطيل وأسمار، (قاهرة: مطبعة المدني، ٢٧٩١)

النقاري، حمو، منطق الكلام- من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي ،(بيروت: الدار العربية للعلوم، 2010).

ريان، محمد سعيد، مفهوم العقل،(بيروت: مركز الحضارة العربية، 2012).

عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان – التكوثر العقلي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006).

بنو هاشم، الحسين، بلاغة الحجاج- الأصول اليونانية، (دار الكتاب الجديد المتحدة).

الولي، محمد، الحجاج-مدخل نظري تاريخي، منشور ضمن كتاب الحجاج – مفهومه ومجالاته ، تحرير : حافظ العلوي.

الجويني،الكافية في الجدل، ت: فوقية حسين، (القاهرة ، 1979)

الجاحظ، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، دار الخانجي.

القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (دار الغرب الإسلامي، 1988)

العمري، محمد، الحجاج مبحث بلاغي، منشور ضمن كتاب الحجاج، (جزائر: دار ابن النديم للنشر والتوزيع، 2013).

الطوفي، نجم الدين، علم الجذل في علم الجدل، ت:فولفهارت هايرنيش ، منشورات المعهد الألماني للأبحاث.

ريكور، بول، «البلاغة والشعرية والهرمينوطيقيا»، ت: مصطفى النحال ، مجلة فكر ونقد، عدد ٦١ فبراير ، الرباط 1999.

توبي لحسن، الحجاج والمواطنة – من المعرفة الأكاديمية إلى ترسيخ القيم الديمقراطية ، (دار رؤية، 2014).

بغورة، الزواوي، مفهوم الاعتراف ، (بيروت: دار الطليعة، 2013).

عبد الرحمن، طه، المنطق واللغة، سلسلة رسائل طابة، (الإمارات: مؤسسة طابة ، 2010)

نيتشة، إنسان مفرط في إنسانيته ، ت: محمد الناجي ، أفريقيا الشرق، (الدار البيضاء، 1998).

بيرلمان، شاييم،» نحو نظرية فلسفية في الحجاج»، ترجمة أنوار الطاهر المنشورة على موقع حكمة ، بدون تاريخ.